الأعمى والأقرع والأبرص

إعداد :
د. هبة محمود

فى قديم الزمان، كان فى بنى إسرائيل ثلاثة رجال، كان أحدهم مصابًا بالبَرَص - وهو مرض يصيب الجلد - وكان الثانى أقرع، وكان الثالث أعمى.

أراد لله عز وجل أن يختبرهم ويمتحن صبرهم وإيمانهم، فبعث إليهم مَلَكًا. ذهب المَلَك إلى الأبرص، وقال له: أى شيء أحب إليك؟ قال الأبرص: لون حسن وجلد حسن. فقد تجنبنى الناس خوفًا من العدوى ومن قذارة منظر جلدى. فمسح المَلَك جلده فذهب عنه البرص، وأصبح له لون حسن وجلد حسن. فقال المَلَك: أى المال أحب إليك؟ قال: الإبل. فأعطاه المَلَك ناقة حاملا، وقال له: بارك الله لك فيها.

ثم ذهب المَلَك إلى الأقرع، وقال له: أى شيء أحب إليك؟ قال الأقرع: شعر حسن، ويذهب عنى هذا، فقد قذرنى الناس. فمسحه المَلَك فأصبح شعره حسنًا. ثم قال المَلَك: فأى المال أحب إليك؟ قال: البقر. فأعطاه بقرة حاملا، وقال له: يبارك الله لك فيها.

وبعد ذلك، ذهب المَلَك إلى الأعمى، وقال له: أى شيء أحب إليك؟ فقال الأعمى: يرد الله إلىّ بصرى فأبصر به الناس. فمسحه المَلَك فرد الله إليه بصره. ثم قال المَلَك: فأى المال أحب إليك؟ قال: الغنم. فأعطاه شاة والدًا.

وبعد مدة من الزمن، أصبح الثلاثة من الأغنياء، وكثرت الإبل والأبقار والغنم، فأصبح للأول وادٍ من إبل، وللثانى وادٍ من بقر، وللثالث وادٍ من غنم.

وفى يوم من الأيام، ذهب المَلَك إلى الأبرص فى صورته التى نزل إليه بها من قبل. وقال له: إنى رجل مسكين ليس معى مال ولا زاد فى سفرى، فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال أن تعطينى بعيرًا أستعين به فى سفرى. فقال له: إن الحقوق كثيرة. فقال المَلَك: كأنى أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيرًا فأعطاك الله. فقال الرجل: لقد ورثت هذا المال عن آبائى وأجدادى. فقال المَلَك: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت.

ثم ذهب المَلَك إلى الأقرع فى صورته التى نزل إليه بها من قبل. فقال له مثل ما قال للأبرص، فرد عليه مثل ما رد عليه الأبرص، فقال المَلَك: إن كنت كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت.

وأتى الأعمى فى صورته التى نزل إليه بها من قبل. فقال: إنى رجل مسكين وابن سبيل وتقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ اليوم إلا بالله ثم بك. أسألك بالذى رد عليك بصرك شاة أستعين بها فى سفرى. فقال الرجل: لقد كنتُ أعمى فردَّ الله بصرى، وفقيرًا فأغنانى، فخذ ما شئت. فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله. فقال المَلَك: أمسك عليك مالك فإنما كان هذا امتحانًا من الله؛ فقد رضى الله عنك وغضب على صاحبيك. [أصل القصة فى حديث ورد فى صحيح البخارى].

الغزال الجريح

فى أحد الأودية المحاذية لسفح جبل عُرف بكثافة أشجاره وكثرة حيواناته البرية وتنوعها، ومن مسافة بعيدة شاهد صياد عدداً من الغزلان ترعى فى العشب الأخضر، وتُصيخ السمع خوفاً من أى خطر قد يداهمها.

قرر الصياد إطلاق النار من مسافة ليست قريبة نسبياً خوفاً من هروب الغزلان إذا اقترب أكثر فأكثر. لأنه واثق من نفسه من جهة ومن بندقية صيده التى لم تخنه مرة من قبل من جهة ثانية. وبالفعل أصاب الصياد أحد الغزلان فى كتفه الأيمن إصابة لم تكن بالقاتلة.

ركض الغزال الجريح بسرعة رغم الجرح الذى بدأ ينزف دماً وبدأ الصياد يعدو خلفه كى لا يفلت منه، وبعد مطاردة مضنية تمكن هذا الأخير من القبض على الغزال الجريح. فجأة شعر الصياد بإعياء شديد، ورغبة عارمة فى النوم.

رغبة الصياد كانت كبيرة فى إيصال الغزال حياً إلى بيته، فسارع لربطه بحبل إلى جذع شجرة معمّرة، وغطّ هو فى سبات عميق.

فى الغابة كان هناك صياد آخر عرف بقباحة وجهه وشدة حسده وحقده ولؤمه، يصحبه كلب صيد ماهر ،سمع هذا الأخير صوت إطلاق النار فى الغابة إلا أنه لم يتمكن من تحديد مكانه إلا بمساعدة كلب الصيد الذى قاده إلى مكان الغزال الجريح.

بخفة ورشاقة وبحرص شديد على ألا يوقظ الصياد النائم من نومه ،فك الصياد القبيح عقدة الحبل من الشجرة وهرب بالغزال إلى القرية، وما إن وصل منزله حتى بدأ يتبجح وبأعلى صوته أمام زوجته وأطفاله عن مهارته فى صيد الغزلان.

استيقظ الصياد من نومه مرعوباً بعد أن شاهد كابوساً، ونهض مسرعاً إلى مكان الغزال الجريح، وكانت دهشته كبيرة عندما لم يجد له أثراً.

حزن الصياد كثيراً إلا أن حزنه لم يمنعه من الاندفاع وفى كافة الاتجاهات ركضاً وبحثاً عن فريسته التى بذل الكثير من الجهد والتعب حتى تمكن من إلقاء القبض عليها وفجأة اختفت؟!.

وبعد أن يئس من البحث سلّم أمره إلى الله وعاد إلى قريته متتبعاً آثار أقدام رجل وغزال وكلب على الطريق الترابى الذى بات يقترب من الدار المجاورة لداره.

ما إن غابت الشمس حتى فاحت رائحة الشواء من الدار المجاورة وبعد قليل دخل أولاد صغار إلى بيت الصياد وفى أيديهم قطع من اللحم وعندما سألتهم زوجة الصياد من أين لكم بهذا اللحم؟!.

أجاب الأطفال: إن أباهم اصطاد اليوم غزالاً وأنهم رأوا بأعينهم الغزال المصاب بكتفه الأيمن.

هرعت الزوجة إلى زوجها لتخبره بما سمعت. فازداد حزن الصياد لأن الدار التى فاحت منها رائحة الشواء هى دار أخيه الأكبر. والأبناء الذين فى أيديهم قطع اللحم هم أبناء أخيه الكبير هذا.

لم يخبر الصياد زوجته أو أبناءه بما حدث معه فى هذا اليوم كى لا يُظهر أمامهم أخاه الأكبر بمظهر الحرامى رسمياً. وقد رأى فى طريق عودته إلى القرية آثار أقدام رجل وغزال وكلب صيد. وأخوه الكبير الوحيد فى القرية التى يملك كلباً للصيد، وبالرغم من هذا الدليل إلا أن الصياد المسكين لم يرغب فى اتهام أخيه.

انتظر الصياد الليل بطوله علّ وعسى أن يرسل أخوه قليلاً من اللحم الذى لم يتعب فى صيده.

إلا أن انتظاره لم يثمر، وتأكدت قناعته هى أن من يسرق تعب الآخرين ليس لصاً فقط وإنما هو بخيل وحسود أيضاً أخاً كان أم غريباً.